معركة التحرير وجدلية الداخل والخارج
قراءة في الموقف والتقدير
2/2

تحدثنا في الجزء الأول من هذه المقالة عن الموقف ـ عملية تحرير فلسطين ـ والفرضيات أو الحقائق التي بني عليها هذا الموقف ، والتي من أهمها :

1. فرضية حتمية التحرير.
2. محددات الجغرافيا والديموغرافيا.
3. تعدد الشركاء وطلاب الدم والثأر
4. طبيعة المحتل :
5. تفاوت ميزان القوى

ونتحدث في الجزء الثاني والأخير ، عن طرق أو سيناريوهات العمل المتوقعة لخطة تحرير فلسطين ، على أمل أن تكون هذه الأفكار الواردة في هذه المقالة ، محل بحث وتدقيق من أهل الاختصاص ، فيقوى سقيمها ، ويؤخذ بـ (سمينها) .

أولاً : طرق العمل المتصورة :

في الحدث عن طرق العمل المتصورة لعملية تحرير فلسطين؛ كل فلسطين ، فإنه يبرز أمامنا ثلاثة طرق أو سيناريوهات للعمل ، سنتحدث عنها في نقاط البحث الآتية :

1. **عملية التحرير ؛ بجهد رئيسي من الداخل ، وجهد ثانوي من الخارج** :

طريقة العمل الأولى الممكن الحديث عنها هي : أن تتم عملية التحرير من داخل فلسطين ، بحيث تنهض بهذه العملية قوى وفصائل المقاومة المنتشرة في طول أرضنا المحتلة وعرضها ، مسنودة بحراك داخلي لأهلنا في مناطق الثمانية والأربعين ، بحيث تُسند لهم أدوار عمل متعددة ؛ لا تبدأ بإرباك الجبهة الداخلية لهذا المحتل الصائل ، ولا تنتهي بشن عمليات عسكرية (خلف) خطوط قواته المتقدمة للعمل على مختلف جبهات الداخل الفلسطيني . ولقيام الداخل منفرداً بإجراءات الجهد الرئيسي لعملية التحرير ؛ فإنه يحتاج إلى قدرات بشرية ومادية ، وإجراءات عمل تعبوية وإدارية ، وستعترض طريقة العمل هذه بعض العقبات والتحديات ، سنفصل أهم ما في هذين الموضوعين ـ القدرات ، العقبات ـ في العنوانين التاليين .

- **القدرات المطلوبة** :

أ. **قدرات بشرية ومادية قادرة على إجراء عمليات التحرير والتطهير، والتأمين:**

بما أن خلاصة العمل العسكري هي عبارة عن **أهداف ووسائل وطرق عمل** ، وحيث أن الهدف الكلي لمثل هذه العملية معروفٌ ولا يحتاج إلى نقاش ، وهو تحرير فلسطين كل فلسطين ، وبما أن طرق العمل أيضاً يمكن أن تجمل في عبارة قصيرة وهي : شن عمليات عسكرية كبرى من محاور متعددة تفضي إلى تحرير الضفة الغربية إبتداءً ، وتحويلها إلى رأس جسر ونقطة ارتكاز عسكرية تنطلق منها القوات لتحرير باقي مدننا وقرانا في فلسطين التاريخية ، دون اغفال تشغيل المقاومة الفلسطينية في غزة لما لديها من قدرات قتالية في عمل تعبوي الهدف منه الاندفاع من حدود القطاع باتجاه المدن والقرى والحواضر الفلسطينية المحاذية له ـ للقطاع ـ على ثلاثة اتجاهات استراتيجية ؛ شمالاً ، وجنوباً وشرقاً ، لتطهر ما تستطيع من الأرض ، الأمر الذي يُطرح أمامه السؤال التالي:**هل تملك قوى المقاومة ـ كل قوى المقاومة ـ في غزة والضفة القدرات البشرية والمادية بحيث تقسمها وتوزعها على أربع تشكيلات عاملة ، للتحرير**

والتطهير والتثبيت ومن ثم التأمين . وهذا سؤال برسم جهات القيادة والتخطيط المعنية بمثل هذا العمل والمطلعة على دقائق الأمور .

ب. **احتياط استراتيجي ـ بشري ومادي ـ قادر على تأمين عمليات التعويض المطلوبة** :

المسألة الثانية ، أو السؤال الثاني والذي ينبثق عن النقطة الأولى ، هو سؤال الاحتياط الاستراتيجي ـ بشرياً ومادياً ـ المطلوب تكوينه واعداده وتدريبه لمثل هذه العملية الكبرى ، فلا يعقل أن تخطط قيادة المقاومة لمثل هذه العملية ، ويغيب ـ ولا نظنه يغيب ـ عنها مثل هذا الأمر ، فهل يمكن أن تمتلك مثل هذه القوات لمثل هذه العملية ؟ وأين سيحتفظ بها؟ وكيف ستؤهل وتدرب وتجهز لمثل هذا العمل الاستراتيجي ؟ وهذا أيضاً سؤال برسم هيئات التخطيط والاعداد

ت. **خطوط إمداد مفتوحة قادرة على تعويض القدرات المادية المستهلكة** :

ومن القدرات والترتيبات الإدارية المطلوبة لمثل هذا العمل الاستراتيجي ؛ امتلاك خطوط إمداد قادرة على مواكبة حركة القوات على محاور تقدمها ، بحيث توصل لها ما يغذي حجر نار أسلحتها من مختلف الصنوف والمديات ، وما يُقيت بطون مجاهديها ومقاوميها الزاحفين باتجاه أهدافهم ، وإن ظن البعض أن إطعام مثل هذه القوات سهل مقدور عليه ، وأنهم سيأكلون مما تضج به أراضينا وحقولنا من مزروعات ومحصودات ، وأن ذخائر أسلحتهم سيغنمونها من مخازن عدوهم ، ومن بين يدي مقاتليه ، إن كان يظن البعض مثل هذا الظن ، فأنا ادعوه لمراجعة حساباته ، حتى لا يفاجأ بأن (حساب السرايا ما حيطلع مثل حساب القرايا) . فأمر معركة التحرير وإن كانت حتمية النصر فيه ربانية ، إلّا أن أمر الاستعداد له ؛ سنة إلهية يجب العمل بمقتضاها ، حتى لا نكون ممن تواكلوا ؛ فأكلوا !!

ث. **قدرات نارية قادرة على تحييد قدرات العدو الجوية** :

أما الأمر الآخر المطلوب التفكير به بجدية عند طرح أن أمر التحرير هو جهد رئيسي داخلي، وما على الخارج إلا أن يدعم ويسند ، الأمر الآخر يجب أن ينصب فيه التفكير على قدرة حركات المقاومة على تحييد اليد الطولى للعدو ـ سلاح الجو ـ ، فإن كانت العملية العسكرية ستشن من الداخل ، فهذا يعني أن عمل العدو على تحييد قدرات المقاومة عبر ناره الجوية سيقتصر على منطقة العمليات الداخلية ، عندها ما هو مبرر تدخل الآخرين لتحييد سلاح جو ، يعترف العالم بأسره أنه يعمل ضمن مجالاته الجوية ؟ فإن خُلي بين هذه القدرات الجوية المعادية وبين المقاومين العاملين في منطقة العمليات هذه ، فهل تملك قوات المقاومة ما يمكن أن تحيّد به هذه النار المعادية ؟ أو على الأقل أن تحد من شراستها وفتكها ؟

هذه بعض أهم القدرات المطلوب التفكير في كيفية تأمينها وتجهيزها وتدريبها والحفاظ عليها ؛ قبل وأثناء وبعد أي عملية تحرير يُفكر في أن جهدها الرئيسي سيكون من الداخل . إن هذه الأمور لم تطرح من باب وضع العصي في دواليب العمل والتفكير ؛ وإنما سيقت من باب انعاش الذاكرة ولفت النظر ، قبل وقوع الخطر .

- **العقبات والتحديات** :

أما عن العقبات التي تعترض مثل هذا العمل ؛ فإننا سنكتفي بقول أن تأمين وتجهيز وإدارة مثل هذه القدرات ـ تحرير ، تطهير ، تثبيت ، تأمين ، احتياط استراتيجي ـ بناء على فرضية أن الجهد الرئيسي من الداخل ، تأمين هذه القدرات نعتقد أنه من الأمور التي قد ترقى إلى مستوى المستحيل . ولن نتحدث فقط عن عقبات من قبيل سهولة تقطيع ومحاصرة بؤر المقاومة تمهيداً لسحقها والقضاء عليها ، فضلاً عن أن الخسائر التي ستقع في أصول قدرات المقاومة ـ البشرية والمادية ،

العضوية منها وغير العضوية الممثلة بالحاضنة الشعبية ـ مما يعني توفر رافعة ضغط معادية تضغط على المقاومة لمنعها من استكمال مهمتها ، فضلاً عن البدء بها وتحريك (القوات) لتنفيذها .

2. **عملية التحرير بجهد رئيسي من الخارج و جهد الثانوي من الداخل** :

أما عن طريقة العمل الثانية والمتصورة لخطة التحرير ؛ فهي أن ينهض بجهدها الرئيسي من هم في الخارج من فصائل مقاومة وحلفاء ـ رسميين وشعبيين ـ بحيث تتقدم قوى التحرير باتجاه أرضنا المحتلة ، في مسار عمليات يقضم الأرض ويطهرها من محتليها ، شبراً بشبر ، و(دونماً) بعد (دونم) ، حيث يتطلب مثل هذا الجهد توفر قدرات وتسهيلات ـ قبل وأثناء وبعد العمليات ـ ، كما تعترضه بعض العقبات ، نأتي على ذكر كلا الأمرين في العنوانين التاليين .

- **القدرات المطلوبة** :

أ. **غطاء ناري قادر على تأمين القوات الزاحفة** :

أول متطلبات لمثل هذا السيناريو هو توفر غطاء ناري قادر على تأمين مناطق حشد وانفتاح القوات قبل حركتها على مسارات ومحاور عملها المخصصة لها ، وبنظرة سريعة ،واستحضار لمجمل القوات ـ الشعبية والرسمية ـ الممكن تصور عملها وتشغيلها في مثل هذا السيناريو ، فإننا يمكن أن نخاطر بالقول أن هذه القوات ، لديها من القدرات النارية ما يمكن أن يوفر لها غطاء نارياً قادراً على منع العدو من إيقاع خسائر تؤثر في أصل مهمتها ، بشرط أن يتم العمل انطلاقاً من خطة عمل واحدة ، تحت قيادة مركزية مشتركة ، قادرة على إدارة وتوجيه الجهود وتخصيص القدرات ، قبل وأثناء وبعد العمليات .

ب. **قدرات نارية قادرة على (إخصاء) قدرات العدو الجوية** :

ومن القدرات المطلوب توفرها للقوات العاملة على مختلف محاور التقدم ، ومن مختلف مناطق العمليات باتجاه فلسطين المحتلة ، أن يتوفر لهذه القوات ، قدرات نارية قادرة على الأقل على تحييد و(اخصاء) قدرات العدو الجوية ، فهذه القدرات المعادية إن لم يتم تحييدها والحد من شراستها ؛ فإنها قادرة على إجهاض عمل قوات التحرير ، وفي مختلف مراحل العمل ـ الحشد والانفتاح والتقدم ـ . وهنا نعتقد أيضاً أن قوات الواجب الرئيسية القادمة من الخارج لديها ما يمكنها من القدرات النارية ـ العضوية والمساندة ـ ما يمكنها من تعطيل عمل سلاح الجو المعادي ، وسلبه حرية المناورة أو الحركة .

ت. **قدرات نارية قادرة على تثبيت حلفاء وأصدقاء العدو الممكن تدخلهم لنجدته** :

أما ثالث القدرات المطلوبة لمثل هذه العملية المتصورة ؛ فهي قدرات معنية بتثبيت أو تحييد أو تدمير قدرات حلفاء هذا العدو ، إن هم فكروا بالحركة لنجدته أو تقديم العون له ، أو الدخول معه بشكل مباشر في عمليات عسكرية ضد قوات التحرير . وغياب مثل هذه القدرات يعني توقع الدفع بها ـ قدرات حلفاء العدو ـ في معركة العدو في أي لحظة وحين ، مما يضاعف قدراته ويزيد من بطش أدواته الأمر الذي يعني تعذر التحرير انطلاقاً من الخارج كجهد رئيسي .

- **العقبات والتحديات** :

أما عن العقبات المتصورة لمثل هذه العملية ، فإن أهمها ؛ تهيّوء البيئة السياسية التي تسمح بمثل هذا العمل ، فأن يبادر الخارج **إبتداءً** بعمل عسكري لتحرير فلسطين ، كل فلسطين ، ويتعرض لأهم مصلحة حيوية للغرب في منطقتنا ـ الكيان المؤقت ـ بهدف اجتثاث هذه الغدة السرطانية ، وإعادة الحق لأهله ، هذا يعني توفر بيئة وظروف سياسية ، نعتقد أن العمل على

توفيرها وتهيئة ظروفها ، أصعب من تأمين المتطلبات البشرية والمادية لخطة التحرير ! كما أن من العقبات المتصورة أيضاً إمكانية عدم كفاية القدرات في ظل تعدد الأولويات لشركاء التحرير ، مضافاً إلى كل هذه العقبات ؛ عقبة طول خطوط الإمداد والحركة لقوات التحرير ، التي ستصل إلى أرض غريبة عنها ، لا تعرفها حق المعرفة ، وهذه هي العقبة الأخيرة التي قلنا أنها تشكل أهم عقبات مثل هذا السيناريو أو طريقة العمل .

3. **عملية تحرير مشتركة تتوزع فيها الجهود بين الداخل والخارج** :

أما عن آخر طرق العمل المتصورة لعملية التحرير المنشودة والموعودة ، فهي عملية مشتركة بين الداخل والخارج ، تتوزع فيها الجهود بين مختلف هذه القوى ـ الشعبية والرسمية ـ بحيث يحمل المقاومون بمختلف أصنافهم وتلاوينهم على عدوهم حملة رجل واحد ، فيتبروا ما علا تتبيراً ، ويلحقوا آخره بأوله ، ويطهروا الأرض من رجسه ودنسه . وللنهوض بمثل هذه المهمة المشتركة لابد من توفر الظروف والقدرات ،و تخطي عقبات وتحديات ، الأمر الذي سنفصل أهمه فيما يلي .

- **القدرات المطلوبة** :

أ. **قدرات نارية قادرة على اخماد نار العدو الجوية والبرية** :

إن أول هذه القدرات المطلوبة هي القدرات النارية ـ القريبة منها والبعيد ـ القادرة على اخماد نار العدو الجوية والبرية ، والتي تشكل ذراعه الضاربة ، وأداة ناره التي يستبق بها أية ضربة متوقعة من قبل أعدائه ، فبمجرد شعوره بتهديد جدي ذي مصداقية يمكن أن يخرج إلى حيز الفعل ؛ فإنه يبادر لضربه بعملية استباقية ، تُجهض ما تراكم من قدرات ، وما حشد من طاقات ، معيداً التهديد إلى مستواه الأول ، الذي لا يمكن أن يشكل خطراً استراتيجياً على حياته ومقدراته ، وبما نعلمه وما نشاهده ؛ فإن المقاومة في الداخل وحلفاءها في الخارج لديهم من القدرات النارية ــ الأرضية والجوية ــ الدقيقة ما يمكنها أن تعطل قدرات العدو هذه ، مما يسمح لقوات الفتح من التحرك باتجاه أهدافها ، دون الخشية من مخاطر جوية قادرة على تعطيل حركتها أو إجهاض مناورتها .

ب. **قدرات بشرية ومادية قادرة على تأمين رؤوس جسور في مسرح العمليات** :

ومن القدرات المطلوبة لمثل هذه العملية ؛ تلك القدرات البشرية القادرة على احتلال وتأمين رؤوس جسور في منطقة العمليات ، قادرة على استيعاب ـ رؤوس الجسور ـ طلائع قوات الفتح القادمة من الخارج ، بحيث تصل هذه القوات إلى رؤوس الجسور تلك ، وهي في أفضل موقف قتالي ، وبأقل خسائر بشرية ومادية ، وأقل مدد زمنية ؛ ثم تنطلق لتوسع وضعيتها عبر تحرير الجغرافيات التي تليها ، في حركة تعبوية متناسقة ومتناغمة ، تمنع العدو من تحديد محاور الجهد الرئيسية لعملية التحرير ، فلا يستطيع تجميد جبهات على حساب أخرى ، لحشد قدراته ـ العدو ـ في جهاز دفاعي فاعل ، يواجه المسارات الاستراتيجية لعملية التحرير النهائية . وتَشارك قدرات المقاومة الداخلية مع تلك الخارجية ، كفيل بإنجاز مثل هذه المهمة ـ تأمين رؤوس الجسور ـ على أكمل وجه .

ت. **تحديد الأهداف الكلية والاتجاهات الاستراتيجية لعملية التحرير** :

إن هذه العملية المشتركة بحاجة إلى ترتيبات ركنية ، تُحدد من خلالها الأهداف الكلية النهائية لكل مسار من مسارات التحرير الاستراتيجية ، كما تُنسق عبرها الجداول الزمنية المطلوبة لإنجاز المهام ، بحيث لا تتأخر قوة عن أخرى ؛ فتربك الموقف الكلي للعمليات ، كما يتوخى من هذه الترتيبات الإدارية تخصيص القدرات بناء على التكاليف والمهمات .

ث. **جهاز قيادة وسيطرة آمن وفاعل** :

ويعد امتلاك وتشغيل قدرات قيادة وسيطرة آمنة وفاعلة لإدارة حرب التحرير هذه ، من أهم الأمور واجبة التفكير بها والعمل على امتلاكها وتحديد "بروتوكلات" عملها من الآن ، وفحص مستوى فعاليتها وأمنها ، فجهاز الأعصاب هذا لا يمكن تشغيله فقط يوم بدء العمل أو الزحف باتجاه أرضنا المحتلة لتطهيرها من دنس هذا المحتل الصائل ، وإن ما يضمن حسن تشغيلها في **اليوم ي والساعة س** ؛ بدء العمل على تهيئتها من الآن وفحص إمكانية تشغيلها الآمن ، ورفع نواقصها ، وسد ثغراتها ونقاط ضعفها .

ج. **التفاهم على المناورة الاستراتيجية للخطة الكلية** :

ومن الأمور والمتطلبات المهمة للتحضير لخطة التحرير ؛ تفاهم الأطراف المشتركة فيها على المناورة الاستراتيجية ـ فكرة العمليات ـ لهذه الخطة ، ومراحل تنفيذها ؛ متى تبدأ ؟ وكيف ؟ وأين ؟ وأين تنتهي كل مرحلة لتبدأ المرحلة التالية ؟ حيث تحدد لكل مرحلة من هذه المراحل مجموعة أهداف يجب الوصول لها وتحقيقها ، ليقال أن هذه مرحلة قد انتهت ، وتلك قد بدأت .

أما عن العقبات والتحديات التي تواجه مثل هذا العمل الاستراتيجي الكبير ، والذي يجب أن يشارك فيه كل من ينادي بتحرير فلسطين ـ كل فلسطين ـ من قوى شعبية ورسمية ، وفق خطة متفق عليها مسبقاً ، إن عقبات مثل هذا العمل يمكن أن يُختصر أهمها بالآتي :

أ. تحدي تهيئة الظروف السياسية ــ المحلية والإقليمية والدولية ــ لمثل هذه العملية الاستراتيجية.

ب. تحدي الفهم العملياتي المشترك لخطة التحرير وإجراءاتها التعبوية .

ت. تحدي عملية القيادة والسيطرة على العمليات المشتركة في مسرح العمليات .

ث. تحدي خفض الخسائر الجانبية في القوات الصديقة ـ المحلية والواردة ـ إلى أقل مستوى ممكن .

ج. تحدي إدامة زخم العمليات حتى تحقيق الأهداف وإنجاز المهمات .

ثانياً : الخلاصة والتقدير :

قبل الخوض في الخلاصة والتقدير ؛ يجب أن نلفت انتباه القراء الكرام ، إلى أن **ما ورد في هذه المقالة في جزئيها الأول والثاني ، ليس خطة عمل تفصيلية يمكن أن يقال أنها خطة تحرير فلسطين ؛ وإنما هي مجموعة أفكار وخطوط عريضة في المستويين الاستراتيجي والتعبوي ، يجب التفكير فيها وجعلها محل نقاش وبحث من قبل متصدي العمل لفلسطين من قوى شعبية ورسمية ، وستبقى ـ هذه الخطوط العريضة ـ حبيسة العقول والأدراج ما لم يتم تنزيلها إلى المستوى التكتيكي ، حيث يتم تحويل الأفكار والتدابير والتوجيهات إلى إجراءات عملية ، تجيب على أسئلة المهمة المتعارف عليها ـ من ؟ ماذا ؟ لماذا ؟ أين ؟ كيف ؟ متى ؟**

أما عن تقديرنا لعملية التحرير النهائية ، فإننا نعتقد أن مثل هذا العمل لا يمكن النهوض به وإتمام أمره إن أسند فقط لقوى المقاومة في داخل فلسطين وحدها ، كما لا يمكن تصور إنجاز هذه العملية من خلال عمل خارجي ليس للداخل فيه دور ، وأن تحرير فلسطين ـ كل فلسطين ـ يتطلب تضافر جهود الخارج مع قدرات الداخل في خطة عمل مشتركة معروفة المهام ، محددة الأدوار ، متفق على أهدافها ومراحل تنفيذها ، يُسند فيها لكل دور حسب قدراته وإمكانياته والجغرافيا التي يتموضع فيها أو ينطلق منها .

ثالثاً : التوصيات :

أما عن التوصيات ؛ فإنها من النوع الذي يقال في غرف العمليات وأمام خرائط الوضعيات ، ليبنى على الشيء مقتضاه .

نختم بالتذكير أن ما ورد ؛ إنما هي أفكار كلية ، بحاجة إلى جلسات بحث تفصيلية ، لنحيل رؤى التحرير إلى وقائع عملية وإجرائية . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عبد الله أمين

2023 05 07